شريعة السبت

بين

تحريم التوراة وتأويل المشنا والتلمود

د. ليلى إبراهيم أبو المجد(*)

يتناول هذا البحث كيفية تأويل شرائع التوراة وأحكامها لكي تتلاءم مع المستجدات والمتغيرات التي طرأت على حياة اليهود بعد السبي البابلي (٥٨٦ ق.م)، الذي أحدث نقلة حضارية في حياة اليهود من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

وعلى الرغم من أن معظم المصادر الدينية اليهودية تصور السبي على أنه عقاب من الرب لبنى إسرائيل على شرورهم وآثامهم وعصيانهم، فلقد جاء في أخبار الأيام الثاني (٦/ ١٦ـ٢٠) "فكانوا يهزءون برسل الله وردَّلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء. فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختار يهم بالسيف في بيت مقدسهم. ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده. وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعاً إلى بابل. وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة. وسُبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً. ."

كما جاء في المزمور (١٣٧) وصف لحزن إسرائيل في السبي، وتضمن دعاء على أدوم وبابل. وعلى العكس من هذه الصورة المروعة للسبي فهناك أسفار مثل سفر عزرا (١/ ٤) تصور اليهود الأثرياء الذين فضلوا البقاء في بابل على العودة إلى أورشليم، عندما سمح لهم الملك الفارسي كورش بالعودة، مما يعنى أن السبي لم يكن عقابا. كما يصف سفر دانيال ٢/ ٤٦ـ٤٨ نبوخذ نصر بأنه تقي ومؤمن برب إسرائيل ويمجده.

وفى الحقيقة فإن الطفرة التي حدثت في الناحية التشريعية والدينية تجعلنا نرجح وجهة

(*) أستاذ الدراسات التلمودية ـ جامعة عين شمس.

النظر الأخيرة، فلولا السبي البابلي ما تفحت العقلية اليهودية، ولا ظهر الفريسيون، ولا ظهر إلى الوجود كتاب المشنا، ولا قامت عليه الشروح (الجمارا)، ومن هنا استحق التلمود أن يُنعت بالبابلي اعترافاً بفضل بابل، فهو يحتل مكانة أسمى من التلمود الأورشليمي لدرجة أنه إذا ذكر التلمود فقط دون تحديد فيقصد به التلمود البابلي فهو أكمل وأشمل من الأورشليمي الذي ينظر إليه على أنه الأخ غير الشقيق للتلمود البابلي.[١]

فالفرقة الفريسية هي التي تبنت تجديد الخطاب الديني واستفادت من معطيات الحضارة في بلاد الرافدين، وترسمت خطى القوانين والتشريعات البابلية والآشورية، ومن ثم وضعت أسس وقواعد تفسير التوراة[٢]، ومن بينها التأويل، ولولا جهود هذه الفرقة لاندثرت التوراة واندثر اليهود منذ زمن بعيد ولم يسمع عنهم أحد.

ونقصد بالتأويل في هذا البحث مصطلح "أجَّادا" وهو اسم مشتق من الفعل وقد دخل إلى العبرية من الآرامية، وقد ورد في الأدب التلمودى بالدلالات التالية:

١) رَبَط (شبات ص ٦٠ وجه الصفحة)، لفَّ، ضمَّ.

٢) حَظَر، مَنَع (يساحيم ص٧٨ وجه الصفحة).

٣) توسَّع في التفسير إلى أبعد الحدود، ومطَّ، وطوَّل، أو أطال البقاء في[٣] وجاء الاسم المشتق منه: "أجادا" وتعنى التفسير المطوَّل، أو التفسير الواسع (عيروفين ص٢١ ظهر الصفحة). ولذلك أُطلق على "المدراشيم" وهى كتب التفسير التي قامت على نص المقرا اسم أو[٤].

---

(١) شطينزلس، عادين: التلمود للجميع (عبري)، دار نشر عيدانيم، القدس ١٩٧٧م، ص١٧٩.

(2) **Encyclopedia Judaica (vol) 15, p. 766.**

(٣) وضعت أسس وقواعد تفسير التوراة في المدارس الدينية اليهودية في بابل وفلسطين.

(4) Jastrow, Marcus: A Dictionary of the Targumim, the talmud Babli and Yerushalmi, the Midrashic literature, New York Vol. I, P. 10, 11

هو نفس الاسم المشتق ولكن باللغة الآرامية، راجع:

أوتسر مدراشيم (عبري) بيت عقد لماتيم مدراشيم قطنيم وأجادوت أُو معسيوت بسدر ألفا بيتا، يهودا دافيد أيزنشطين، الجزء الأول، إسرائيل، ١٩٦٩، ص٩. فمصطلح "مدراش" يطلق على الأقوال والكتب التي تجمع بين الفقه وبين المرويات التي تم استخلاصها من أسفار العهد القديم أو بالاعتماد عليها.

ويطلق اسم "مدراش" على مجموعة من كتب التفسير التي تعرف بهذا الاسم وهى تنقسم إلى قسمين متميزين: =

أما مصطلح "هجَّادا" فيختلف عن "أجَّادا" وهو اسم مشتق من وزن من الجذر وجاء هذا الفعل في الأدب التلمودى بالدلالات التالية:

أَوْضَحَ، أَخْبَر، أثبت، أظهر.[1]

وجاء الاسم المشتق منه "هَّجادا" بالدلالات التالية:

١) قَصّ، إخبار، إدلاء بأقوال (شهادة).

٢) وعظ ديني، تفسير ديني للجمهور وكمقابل "للهلاخا" أي الفقه (حجيجا ص١٤ وجه الصفحة) و (ص٣ وجه الصفحة) أيضاً.

٣) يطلق مصطلح "هجَّادا" على حكاية الفصح "هجادت يصح" وهى طقس يؤديه رب الأسرة في اليومين الأوليين من أيام عيد الفصح، فيحكى لأفراد أسرته "حكاية الفصح" (يساحيم ص١١٥ ظهر الصفحة، ص١١٦ ظهر الصفحة أيضاً)[2].

فمصطلح "أجَّادا" و "هجَّادا" كانا مختلفين في نشأتهما ولكن تداخلت دلالتهما بمرور الزمن نظراً للتشابه الصوتي بينهما، مما أدى إلى الخلط بينهما.

فالهدف من هذا البحث أن نوضح القواعد التي استند إليها علماء المشنا (الفريسيون) في تأويل نص التوراة، ونتخذ من شريعة السبت نموذجاً. فلقد عّظمت التوراة شعيرة السبت ونصت عليها في ثلاثة مواضع مختلفة وبصياغة مختلفة أيضاً مما يعكس أهمية هذه الشعيرة والمكانة الرئيسة التي تحتلها في منظومة الشعائر المقرائية فنصت في خروج ٣٥/ ٢-٣:

= (أ) مدراش هلاخا: أي تفسير الأحكام، ويندرج تحتها كتاب مخيلتا، سفرا، سفري، وهى كتب تعالج الأحكام الشرعية في سفر الخروج اللاويين والعدد والتثنية، وضعها "التنائيم" علماء المشنا.

(ب) مدراش أجادا: أي تجميع الروايات، ويندرج تحتها "مدراش رابا" التفسير الكبير أو العظيم، "مدراش تنحوما" تفسير تنحوما. وقد غرس بذرتها "الأمورائيم" علماء "الجمارا" وهى تجميع للأقوال المأثورة التي كان يرويها العلماء على مدى عدة قرون، لذلك نجد معظم كتب التفسير يطلق عليها اسم "مدراش" أو أجادا أو الاسمين معاً مدراش أجادا. وهى في معظمها عبارة عن تسجيل لحلقات الوعظ والتفسير التي كانت تقام في المعابد خصوصا أيام السبت، فقد جاءت معظم كتب التفسير بنفس ترتيب أجزاء فقرات التوراة التي كانت تقرأ في المعابد كل أسبوع.

(١) معجم جاسترو، المجلد الثاني ص٨٧١.

(٢) نفس المرجع، المجلد الأول، ص٣٣٠

"ستة أيام يُعمل عمل. وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب. كل من يعمل فيه عملاً يُقتل. لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت".

ونصت في خروج ٣١/ ١٢ـ١٧ :

"وكلَّم الرب موسى قائلاً. وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلاً سبوتى تحفظونها. لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذي يقدسكم. فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. من دنسه يُقتل قتلاً. إن كل من صنع فيه عملاً تقطع تلك النفس من بين شعبها. ستة أيام يُصنع عمل. وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب كل من صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً. فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً. هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد. لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفَّس".

ونصت التوراة في خروج ٢٠ على شعيرة السبت ضمن الوصايا العشر ٨ـ١١ : "أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع فيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما. أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدَّسه."

وتكررت ضمن الوصايا العشر في تثنيه ٥/ ١٢ـ١٤.

ويتضح لنا من الفقرات التي جاءت في التوراة عن شعيرة السبت أنها شعيرة خالصة للرب فهي تخليد لذكرى الانتهاء من خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. فكما خلق الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، فإن بني إسرائيل كذلك يعملون كل أعمالهم في ستة أيام ويستريحون في اليوم السابع.

وإذا كان الرب قد اختار السبت من بين الأيام ومَّيزه ثم منحه لبنى إسرائيل فهذا علامة ودليل من وجهة النظر اليهودية، على اختيار الرب لهم من بين الشعوب. ومن هنا فرض هذه الشعيرة على الجميع حتى العبيد والإماء والبهائم والنزلاء. ولذلك نصت عليها التوراة ضمن الوصايا العشر.

ونظراً لقدسية هذه الشعيرة فقد غلَّظت التوراة عقوبة من يتعدى حرمة السبت فهي نفس العقوبة التي قررتها التوراة على من يعبد عبادات وثنية (أي من يشرك بالرب) أو من يغشى المحارم التي حرمتها. كما قدَّمت التوراة في عدة مواضع التشديد على قداسة السبت

قبل التشديد على قداسة الهيكل كما جاء في خروج ٣٥ على سبيل المثال. وحتى أثناء بناء الهيكل لم يُسمح لهم بتعدي حرمة السبت والبناء في ذلك اليوم.

ولكن على الرغم من الهالة والقدسية التي حظيت بها شعيرة السبت، فقد حفظت لنا المقرا حالات تم التعدي فيها على حرمة السبت أولها: ما حدث أثناء التيه وفى حياة موسى ﷺ وقد نصت عليه التوراة في خروج ١٦/ ٢٧ـ٢٨:

"وحدث في اليوم السابع أن بعض الشعب خرجوا ليلتقطوا المَنَّ فلم يجدوا. فقال الرب لموسى: إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي."

أما الحالة الثانية: فقد نصت عليها التوراة في عدد ١٥/ ٣٢ـ٣٦: "ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت. فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهارون وكل الجماعة. فوضعوه في المَحْرَس لأنه لم يُعلم ماذا يُفعل به.

فقال الرب لموسى قتلاً يقتل الرجل. يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى."

وهناك حالة أخرى حدثت في زمن نحميا أن بعد العودة من السبي فجاء في نحميا ١٣/ ١٥ـ١٧ في تلك الأيام رأيت في يهوذا قوما يدوسون معاصر في السبت ويأتون بحزم ويحملّون حميراً وأيضا يدخلون أورشليم في يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يُحمل فأشهدت عليهم يوم بيعهم الطعام. والصوريون الساكنون بها كانوا يأتون بسمك وكل بضاعة ويبيعون في السبت لبنى يهوذا وفى أورشليم. فخاصمت عظماء يهوذا وقلت لهم ما هذا الأمر القبيح الذي تعملونه وتدنسون يوم السبت."

نستشف من هذه الفقرات أن الالتزام بشعيرة السبت ومراعاة حرمة هذا اليوم لم يكن بالأمر السهل منذ عصر موسى ﷺ وحتى عصر نحميا رغم اختلاف الظروف المعيشية، ففي زمن موسى تعدى بعض قومه حرمة السبت من أجل التقاط المَنّ، أي الحصول على الطعام، أما في عصر نحميا فقد تعدوا حرمة السبت وزاولوا أعمالهم المختلفة من عصر العنب إلى النقل والتجارة والبيع.

والسبب في صعوبة الالتزام بحرمة السبت كما يقول "عاموس حاخام" يكمن في عدم إيمان الإنسان اليهودي بقدسية السبت، وبالتالي فهو لا يشعر ولا يدرك أهمية السبت، وإلا ما ثقلت عليه نواهي السبت، ولظل متلهفاً طوال الأسبوع في انتظار السبت.[١]

(١) مقال على موقع ص٥ 15/04/2006 www.daat.co.il

وبناء على ما سبق فقد غالت كتب التفسير اليهودية (المدراشيم) في تعظيم شعيرة السبت وتضخيم خطيئة من يتعداها، واتبعت في ذلك طرقاً عديدة في التفسير من بينها: تقديم زمن وقوع خطيئة الحطَّاب؛ فقد ذكرت كتب التفاسير أن حادث الحطَّاب الذي تعدى حرمة السبت قد حدث في الأسبوع التالي لخطيئة خروج بعض الشعب لالتقاط المَنّ، بينما يتضح من التفسير الحرفي للمقرأ ومن تسلسل الأحداث فيها أن حادث الحطاب قد وقع في الجبل الثاني للتيه في الصحراء، أي في تاريخ متأخر عن المذكور في كتب التفسير. وهدف "المدراش" من التقديم الزمني لهذا الحادث هو:

أـ تضخيم خطيئة بنى إسرائيل وأنهم تعدوا حرمة السبت لأسبوعين متتاليين وتسببوا بخطيئتهم هذه في تأخير زمن الخلاص، وبنوا على ذلك مقولتهم المشهورة التي تقول: "إذا حافظ بنو إسرائيل على حرمة سبتين متتالين ولم ينتهكوا حرمته فسوف يأتي الخلاص في الحال".

ب ـ تبرير عقوبة القتل التي فُرضت على الحطَّاب، فالمدراش يريد أن يقول إن هذه العقوبة كانت قبل نزول الشريعة وتحديد العقوبات، وإنها عقاب فوري هدفه تثبيت دعائم فريضة السبت التي كانت حديثة العهد وقتئذ.

ولجأت كتب التفسير إلى المغالاة في تعظيم قدر شعيرة السبت وجعلتها تعادل كل الفرائض مجتمعة، وقرنت بين المحافظة عليها ومجيء الخلاص، فجاء في (شموت رابا)، تفسير سفر الخروج الكبير ٢٥/ ١٦ : "قال الرباني لأوى إذا حافظ بنو إسرائيل على سبت واحد كما ينبغي فسوف يأتي ابن داود (المسيح المخلص) لأن شريعة السبت تعادل كل الفرائض مجتمعة." وحاول المفسرون أن يأتوا بسند أو دليل على ذلك من المقرا فجاء في الشاهد نفسه: "وقال الرباني إلعازار بن أبينا لقد وجدنا في التوراة والأنبياء والمكتوبات أن شريعة السبت تعادل جميع الفرائض مجتمعة، فجاء في التوراة، عندما نسى موسى أن يقول لهم شريعة السبت فقال القدوس تبارك (خروج ١٦/ ٢٨) إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي. . " أي تكلم عن السبت بصيغة الجمع وجاء النص بعدها يقول: "انظروا إن الرب أعطى لكم السبت"

وجاء في الأنبياء استنادا إلى ما ورد في (حزقيال ٢٠/ ١١ـ١٣) "وأعطيتهم فرائضي وعرَّفتهم أحكامي التي إن عملها إنسان يحيا بها. وأعطيتهم أيضاً سبوتى لتكون علامة بيني وبينهم ليعلموا أنى أنا الرب مقدسهم فتمرَّد علىَّ بيت إسرائيل في البرية: لم يسلكوا في

فرائضي ورفضوا أحكامي التي إن عملها إنسان يحيا بها ونجسوا سبوتى كثيراً" فتحدث النص بصفة عامة عن أن بنى إسرائيل لم يطبقوا الفرائض ورفضوا الأحكام وخص بالذكر فريضة السبت (يعد دليل من وجهة نظر المدراش على أن السبت يعادل كل الفرائض مجتمعة).

وجاء في المكتوبات استنادا إلى (نحميا ٩/ ١٣ـ١٤) "ونزلتُ على جبل سيناء وكلمتهم من السماء وأعطيتهم أحكاما مستقيمة وشرائع صادقة وفرائض ووصايا صالحة. وجاء بعدها وعرفتهم سبتك المقدس وأمرتهم بوصايا وفرائض وشرائع عن يد موسى عبدك".

وقال القدوس تبارك لإسرائيل إذا نجحت في المحافظة على حرمة السبت سأثيبك كما لو كنت قد حافظت على جميع فرائض التوراة أما إذا دنسته فسوف أعاقبك كما لو كنت قد دنست وتعديت جميع الفرائض. وهذا هو ما ورد في (إشعيا ٥٦/ ٢) "طوبى للإنسان. . . . الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر" فحين يحفظ الإنسان السبت ثم يقرر أمراً فإن القدوس تبارك يحقق له ما يريد. . .

ولكن هذه المغالاة سواء في تعظيم السبت أو في تغليظ عقوبة من يدنسه، وتعليق الخلاص بالمحافظة على شعيرة السبت، لم تحل دون تدنيس السبت وتعدى الناس على حرمته مما دفع علماء المشنا إلى تأويل نص التوراة ومحاولة الالتفاف حول النص الصريح الذي ورد في خروج ١٦/ ٢٩ : "انظروا إن الرب أعطاكم السبت لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين ـ اجلسوا كل واحد في مكانه. لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع".

لقد تكرر التشريع فجاء مرة في صيغة الأمر، وأخرى في صيغة النهى، فاتخذ علماء المشنا من التكرار دليلاً على أن دلالة صيغة الأمر تختلف عن دلالة صيغة النهى وأن التكرار لم يأت هباءً ولكنه مقصود. فدلالة كلمة "مكانه" في الأمر تختلف عن دلالة كلمة مكانه في النهى، ومن هنا راحوا يؤولون دلالة تلك الكلمة وماذا تعنى، هل تعنى الملكية الخاصة بكل فرد أي "الخيمة"؟ أم تعنى الملكية العامة أي المكان الذي كان ينزل فيه بنو إسرائيل؟ فإذا كان المقصود بكلمة "مكانه" الملكية الخاصة أي الخيمة، فإنه يجب عليهم أن يجلسوا طيلة يوم السبت في مساحة قدرها أربع أذرع مربعة أي حوالي مترين مربعين، وهى مساحة الخيمة، أما إذا كان المقصود بكلمة "مكانه" هي مساحة المكان الذي نزل فيه بنو إسرائيل في الصحراء أثناء التيه فهي حوالي ٢٤ ألف ذراع أي ١٢ كيلو متر مربع، ومن هنا يتبين أن

الهوة شاسعة بين المساحتين، فالأولى ضيقة جداً ومن الصعب الالتزام بها، ولكنها التفسير الحرفي والمنطقي لتشريع التوراة، أما المساحة الثانية فهي واسعة جداً ولكنها لا تتفق مع المنطق فالمَنّ كان ينزل عليهم في مكان سكناهم، وليس خارجه، وبالتالي فالنص لا ينهى عن الخروج خارج المحلة (أي مكان نزولهم).

ولذلك فتش علماء المشنا عن مخرج في المقرا يمكنهم من تأويل النص التوراتى خصوصاً وأن الظروف المعيشية لليهود قد تغيرت واختلف نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية فهم لا يسكنون في خيام ولا يزاولون حرفة الرعي، بل يعيشون في مدن (عير) وفى قرى (كفَرْ)، وفى بلدات (عَيَّارا) وفى مدن محصَّنة (كرَخ). ويسكنون في بيوتَ (بَيتْ) وكل مجَموعة بيوت تشترك في فناء واحد (حاتسير) وكَل مجموعة أفنية تطل على حارَة "مافُوى" والحارة قد تكون مفتوحة من الجانبين، أو مفتوحة من جانب واحد يخرج القاطنون منه إلى الشارع الرئيسي. ومنهم من يعيش في بيت يتكون من طابقين، يحيط به فناء يشترك فيه جميع السكان.

لذلك راح علماء المشنا يبحثون في المقرا عن أماكن معيشة أقرب إلى التي يعيشون فيها لكي يستندوا إليها في توسيع مساحة الحركة في السبت، ووجدوا ما ينشدونه في سفر العدد ٣٥، حيث يتحدث عن تعيين مدن اللاويين في أرض كنعان نظراً لأن موسى ﷺ لم يخصّ اللاويين بنصيب من أرض كنعان عند تقسيمها بين أسباط بنى إسرائيل فجاء في (عدد ٣٥/ ١ـ٥).

"ثم كلَّم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً أوص بنى إسرائيل أن يعطوا اللاويين من نصيب ملكهم مدنا للسكن. ومسارح للمدن حواليها تعطون اللاويين لتكون المدن لهم للسكن ومسارحها تكون لبهائمهم وأموالهم ولسائر حيواناتهم، ومسارح المدن التي تعطون اللاويين تكون من سور المدينة إلى جهة الخارج ألف ذراع حواليها. فتقيسون من خارج المدينة جانب الشرق ألفى ذراع وجانب الجنوب ألفى ذراع وجانب الغرب ألفى ذراع وجانب الشمال ألفى ذراع وتكون المدينة في الوسط. هذه تكون لهم مسارح المدن".

واستناداً إلى هذه الفقرة السابقة ذهب فريق من علماء المشنا إلى القول بأن المقصود بالأمر "اجلسوا كل فرد في مكانه" بأنه يعنى المساحة التي يسمح للفرد أن ينقل أمتعته فيها، وهى أربع أذرع مربعة (متران تقريبا) وهى نفس مساحة الخيمة، وأطلقوا عليها اسم

(رشوت هيَّاحيد) أي الملكية الخاصة، وأن المقصود بالنهى "لا يخرج فرد من مكانه" بأنه يعنى النهى عن السير خارج الحدود التي حددتها التوراة للمدن ومسارحها وهى مساحة ألفى ذراع مربع أي حوالي كيلو متر تقريبا وأطلقوا عليها اسم "تحُوم شبَّات" أي حدود السبت، ويجب على الفرد ألا يتعدى هذه المساحة في السبت.

ولكن مع مرور الوقت ضاق الناس بهذه الحدود، واضطر الكثيرون إلى التعدي على هذه الحدود لقضاء حوائجهم ضاربين عرض الحائط بقدسية السبت، وتتفق ذهن علماء المشنا عن حيلة للاتفاق على التأويل الذي وضعوه عن طريق خلط الحدود أو دمج الحدود "عيروفين" وجاءت أحكامه في باب من أبواب المشنا يلي باب أحكام السبت (شبَّات) ويتم خلط الحدود بأن يضع المرء إما بنفسه أو عن طريق وكيل ينوب عنه طعاماً (يكفى وجبتين) في مكان يستأجره لهذا الغرض لكي يقضى فيه ليلة السبت، ويكون هذا المكان في أبعد نقطة داخل الحدود المسموح بالسير فيها وأقرب إلى الاتجاه الذي يريد الذهاب إليه نهار السبت، ويعتبر علماء المشنا أن هذا المكان الذي استأجره المرء ووضع فيه طعام "العيروف" يعد بيته في هذا السبت، ويحل له بذلك أن يسير نهار السبت من هذا المكان الذي وضع فيه طعام "العيروف" مسافة ألفى ذراع "كيلو متر" من كل اتجاه. وعلى سبيل المثال إذا وضع المرء طعام "العيروف" ويطلق عليه "عيروف" أيضاً، في نهاية ألف ذراع من مكان إقامته الحقيقي ناحية الشرق، فيحل له بذلك أن يسير في اتجاه الشرق مسافة ثلاث آلاف ذراع، ألف ذراع هي المسافة من مكان إقامته إلى مكان طعام "العيروف" وألفان ذراع من مكان العيروف شرقاً.

وإمعاناً في التسهيل سمح مشرعو المشنا لمجموعة من الأفراد أن يشتركوا في "خلط الحدود" معاً، بمعنى أن يضع فرد من أفراد المجموعة طعام العيروف ويأكل منه أفراد المجموعة جميعاً وهى ما يسمى بالمشاركة في خلط الحدود. وكما تحايلوا على التأويل الذي وضعوه بشأن السير في السبت أي (تحوم شبَّات) تحايلوا كذلك على نقل الأمتعة عن طريق خلط الأفنية "عيروف حتسيروت" لكي يحل للفرد أن ينقل أمتعته من البيت إلى الفناء وبالعكس، ويكون ذلك بأن يضع كل السكان الذين يضمهم فناء واحد طعاماً في بيت واحد منهم قبل دخول السبت، وبذلك يخلطون ممتلكاتهم ويعتبر الفناء كما لو كان ملكية خاصة لهم جميعاً ويحل لهم بذلك أن ينقلوا أمتعتهم من بيوتهم إلى الفناء وبالعكس، ومن الممكن تطبيق نفس الشيء على الحارة، في حال إذا كان من الممكن إغلاقها من جهاتها

الأربع. ويسمى هذا الأمر "المشاركة في خلط الحارة" فيضع أحد سكان الحارة طعام العيروف في أحد الأفنية، ويأكل جميع السكان منه، ويحل لهم بذلك أن ينقلوا أمتعهم داخل الحارة وتعد في هذه الحالة كما لو كانت ملكية خاصة لهم جميعاً.

ويتضح مما سبق أن علماء المشنا حاولوا مسايرة العصر ووضع تشريعات تتلاءم مع التطور الذي حدث في نمط المعيشة، وقد حاولتُ في هذا البحث أن أعرض التجربة اليهودية في تجديد الخطاب الديني، فاليهودية الربانية، أي "فرقة الفريسيين" هي التي تبنت تجديد الخطاب الديني ومن الطرق التي لجأت إليها "طريقة التأويل"، في حين أن الفرق اليهودية الأخرى وهى الفرقة السامرية والصدوقية والقرائية التزمت بشريعة السبت كمَا نصت عليها التوراة، وعارضوا "دمج الحدود" أي العيروف واعتبروه تعدياً على نواهي التوراة. ومن اللافت للانتباه أنه على الرغم من أن فرقة الربانيين في خطابها الديني كما عبر عنه المشنا، قد بلغت حد الشطط والخروج على شريعة موسى عليه السلام وعلى صريح نص التوراة، فإنها الفرقة التي انضوى تحت لوائها غالبية اليهود إلى وقتنا الحاضر، وهى أيضاً الفرقة التي كُتب لها البقاء والغلبة على سائر الفرق الأخرى.

ومن اللافت للانتباه أيضاً أن كتاب المشنا أصبح المرجعية الدينية لليهود حاليا وليست توراة موسى عليه السلام، ومن يدخل على شبكة المعلومات الدولية "إنترنت" سيجد على مواقع إسرائيلية عديدة كيفية استقبال السبت، وأنواع الملكية في الوقت الحالي، وكيف يقيس المرء "حدود السبت"، وكيف يخلط تلك الحدود (عيروف) وعقوبة من يتعدى حرمة السبت علناً.

وبعد تزايد المد الديني في إسرائيل وتضخمه لدرجة أنه طال الجيش الإسرائيلي وأسلوب تجنيد الأفراد وأسلوب عمله، ولدرجة جعلت رجال التيار الديني القومي يطالبون بجعل الخدمة العسكرية داخل الجيش تتم لرجالهم (أي المتدينون) تحت الإشراف المباشر للحاخامات ومديري المعاهد الدينية العسكرية، لذلك نجد مواقع على شبكة المعلومات الدولية تابعة للجيش الإسرائيلي تحدد للجندي كيف يؤدي صلاته في السبت وكيف يقيس "حدود السبت" في المعسكر وكيف يحدد أنواع الملكية داخل معسكرات الجيش، وكيف يدمج "حدود السبت" عن طريق الـ "عيروف"، ومتى يحل له حمل السلاح وتجهيزه دون القيام بالـ "عيروف" ومتى يحل له أن يتعدى حدود السبت بدون "عيروف" وذلك في حالة الخروج للقتال أو للقيام بمهمة عسكرية.

وختاما فهذا البحث يثبت أن علماء الفرقة الفريسية أي الربانيون قد نجحوا في التحايل على شرائع التوراة وعلى رأسها شريعة السبت، كما نجح الحاخامات حاليا في بسط سيطرتهم على الجمهور اليهودي، وفى تغلغل نفوذهم داخل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، ولكنه يثبت في الوقت ذاته أن "شريعة السبت" قد تحولت على أيديهم إلى مجرد طقوس شكلية وقيود، وتم إفراغها من مغزاها الديني الذي نصت عليه التوراة.

obeikandl.com